جوانب من تاريخ وآثار مدينة بني ملال ومجال تادلا*

حليمة الناجي(1) وإبراهيم بدوي(2)
(1) آثارية/قسم جرد وتوثيق التراث – مديرية التراث، وزارة الثقافة والشباب والرياضة –قطاع الثقافة، الرباط
(2) آثاري/دار الثقافة – وزارة الثقافة والشباب والرياضة –قطاع الثقافة، سلا الجديدة

Tadla, vaste zone à laquelle est associée la ville de Béni Mellal, est mentionnée dans les plus importantes sources historiques et géographiques relatives au Maroc. Ce territoire riche et hospitalier bénéficie d'importantes potentialités naturelles et géographiques qui ont contribué à l'occupation et à l'installation humaine sur ses terres depuis les temps anciens. Cela a favorisé la coexistence et la cohabitation de populations et de tribus d'origines et de cultures différentes. Elles ont, également, à côté du facteur humain et culturel, conféré à cette région un rôle important dans l'histoire du Maroc, en particulier, au Moyen Âge. Cette contribution retrace les différentes périodes historiques qu'a connues la région à travers les témoignages documentés.

ارتبطت مدينة بني ملال الحالية تاريخيا بمنطقة تادلا. وقد ورد ذكر هذه الأخيرة في أبرز المصادر التاريخية والجغرافية التي تناولت تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى حدود أوائل القرن التاسع عشر. "وتادلا اسم يطلق على منطقة شاسعة تقع وسط المغرب الأقصى، وتتكون من الهضاب والسهول الممتدة شرق سهل الشاوية وحول المجرى الأعلى لنهر أم الربيع، ومن السفوح الغربية للأطلس المتوسط من وادي العبيد جنوبا إلى منابع نهر ملوية"[1]. وقد كانت تادلا على مر العصور موطنا للعديد من القبائل والتجمعات السكانية المختلفة. حيث تقطن بالهضاب القبائل ذات الأصل العربي وهي: ورديغة، وبنو خيران، وبنو زمور، والسماعلة، وبنو عامر، وبنو موسى بوادي زم وأبي الجعد ودار ولد زيدوح. وفي المنطقة الوسطى لوادي أم الربيع (وادي وانسيفن قديما) كانت تعيش قبائل أيت الربع، وهم مزيج

* هذا المقال هو في الأصل بحث أنجز من طرف الباحثين حليمة الناجي وإبراهيم بدوي، محافظي آثار بالمندوبية الإقليمية لوزارة الثقافة ببني ملال سنة 2000. وهو عمل بيبليوغرافي وميداني. والصور التي لا تحمل مرجعا هي بعدستيهما.

[1] أحمد التادلي الصومعي، **كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1996، ص9-10.

عربي– أمازيغي، وتتألف من كطاية، وسمكت وبني ملال. أما في السفوح الغربية لجبال الأطلس المتوسط، فاستقرت قبائل آيت سري، وآيت عطا نومالو، وآيت بوزيد، وآيت عياض وآيت اعتاب. في حين نجد القبائل الأمازيغية الصنهاجية في الجبال والزناتية بالسهول، إلى جانب قبيلة جشم العربية المتكونة أساسا من بني جابر وزرارة، بالإضافة إلى قبيلة بني سعد.

اختلف الباحثون حول طوبونيم "تادلا"، فالملاحظ أن اسم تادلا يتقارب في اللفظ مع كلمة أخرى كان لها مدلولها التاريخي في المنطقة وهي "تادلا" أو "الدلا". ويفترض الأستاذ محمد حجي أن اللفظين (تادلا والدلا) كانا مترادفين لمسمى واحد، ويستدل على ذلك بكون المؤرخ والشاعر عبدالعزيز الفشتالي –المعاصر للزاوية الدلائية– قد استعمل "الدلا" للدلالة على منطقة تادلا[2]. كما أن كلمة "تادلا" تعني في الأمازيغية المحلية حزمة من الزرع المحصود بواسطة المنجل، وتعني حزمة بصفة عامة. ولعل في ذلك ما يدل على الازدهار الفلاحي والزراعي الذي عرفته المنطقة عبر الفترات التاريخية بشهادة العديد من المؤرخين أمثال صاحب **الاستبصار** والشريف الإدريسي. فقد جاء على لسان هذا الأخير:"... والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق، وأحاطت به القبائل من كل الجهات"[3]. في حين يؤكد مؤلف **الاستبصار** أن المنطقة تشتهر بزراعة القطن[4]. كما عرفت بأنشطتها الحرفية، وتدل الرواية الشفوية على أن بني ملال كانت إلى حدود القرن 19م تتوفر على ثلاث دور للدباغة، ناهيك عما كان يمارس منها داخل المنازل، وتم بناء دار موحدة للدباغة منذ فترة الحماية الفرنسية[5]. وتكمن أهمية منطقة تادلا السياسية والتجارية كذلك في كونها شكلت نقطة عبور للتجار والجيوش بين شمال المغرب وجنوبه.

---

[2] يقول عبد العزيز الفشتالي: "وعقد (أي المنصور الذهبي) للمولى زيدان أصغرهم على الدلا، وعقد له على أعمالها وشفعها له ببلاد أدخسان". أنظر محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ/1988م، ص27. مع العلم أن زيدان كان والي منطقة تادلا في عهد السعديين.

[3] الشريف الإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تحقيق وترجمة محمد حاج صادق، بلجيكا 1983، ص93؛ نظر أحمد عمالك، "ملامح من تاريخ قصبة تادلا"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1993، ص89.

يقول الإدريسي: "ويزرع بها وبأرضها كثير القطن ولكنه بمدينة تادلا يزرع أكثر مما يزرع بمدينة داي. ومن مدينة تادلا يخرج القطن كثيرا ويسافر به إلى كل الجهات". ص93.

[4] **الاستبصار في عجائب الأمصار**، لكاتب مراكشي مجهول، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص200.

[5] Naji, H. "La tannerie traditionnelle de Béni-Mellal : la mémoire dans la peau", *Le Jardin des Hespérides*, N° 9, 2018, p.40-45.

يتميز مناخ المنطقة بطابع القارية والجفاف، وتتنوع تضاريسها، فنجد السهول والهضاب والجبال، كما يتنوع الغطاء النباتي والتربة، حيث نجد "الأحراش" على طول منطقة الدير و"المرجة" بالهضاب، ثم "الحمري" و"التيرس" السوداء. كما أن وجود المنطقة في الدير يتيح لها الاستفادة من مياه العديد من المجاري والعيون مثل عين أسردون، وعين وتامكنونت، وعين القصابي، وعين سيدي بويعقوب، وعين فم أودي، وعين داي، وعين أم ربيع، إلى جانب وادي أم الربيع، وهو أهم نهر في المنطقة. وتكمن أهمية هذه الثروة المائية بالإضافة إلى السقي والشرب، في استغلالها في تحريك أرحية طحن الحبوب وعصر الزيتون[6].

لا شك أن كل هذه المعطيات الطبيعية والجغرافية ساعدت على الاستقرار البشري في مجال تادلا منذ أقدم العصور، وتعايش السكان على اختلاف أصولهم وفروعهم وثقافتهم وعقائدهم من عرب وأمازيغ ويهود ومسيحيين. كما جعلت –كل هذه الخصوصيات– المنطقة تؤدي أدوارا طلائعية في تاريخ المغرب خاصة الفترة الوسيطية منها.

1. من عصور ما قبل التاريخ إلى مجيء الأدارسة

عرفت منطقة تادلا خلال الأزمنة الجيولوجية وجود وحيش مهم. ومما يدل على ذلك هيكل الديناصور الذي تم اكتشافه بمنطقة تيلوكيت الجبلية بإقليم أزيلال. هذا الهيكل معروض بمتحف علوم الأرض التابع لوزارة الطاقة والمعادن بالرباط. إلى جانب الكثير من العظام وأسنان الحيوانات، كالفيلة والخنازير والدببة وغيرها. يخبرنا بهذا الغنى الباليونتولوجي مجموعة من المرشدين السياحيين الجبليين، وتطلعنا عليه كذلك اكتشافات الصدفة[7].

تحدث الرحالة شارل دوفوكو (Charles de Foucauld) في رحلاته الاستكشافية في جبال الأطلس المتوسط المتاخمة لمنطقة تادلا، عن العديد من الكهوف والمغارات، خاصة تلك التي تمتد من بني ملال إلى فم العنصر[8]. إضافة إلى أن بعض المناطق الجبلية تتوفر على نقوش ورسومات صخرية كتلك التي توجد بتراب جماعة فم أودي[9]، وبدمنات (تيزي ن

---

[6] محمد البشير بوسلام، **تاريخ قبيلة بني ملال، 1854–1916، جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1991، **ص**26–29.

[7] Naji, H. "Aven des ours (idpcm:81B99E)", "Ifri-n-Majrioul (grotte de l'hyène: idpcm: 24D056)", … (*http://www.idpc.ma*).

[8] De Foucauld, Ch. *Reconnaissance au Maroc*, 1883-84, Société d'édition géographique, maritime et coloniale, Paris, 1888, p.61-62.

[9] تمت معاينة الموقع من طرف إبراهيم بدوي، علما أن هذه النقوش لم تدرس بعد.

تلغست) وبأزيلال (تبانت وجبل رات)[10]. ويمكن اعتبار هذين العنصرين (الكهوف والمغارات والنقوش الصخرية) إشارتين قويتين على الاستقرار البشري بالمنطقة في أزمنة ما قبل التاريخ. ولعل الأبحاث والتحريات والحفريات ستكشف عن مخلفات وآثار هذا الاستقرار وأنماط العيش إذاك بهذه الربوع.

وفي موضوع الاستقرار، أشار گوتيي (Gautier) إلى أن وجود نهر بهذه الأهمية والعظمة (أم الربيع) لاشك أنه مرتبط بنشأة حاضرة تاريخية مهمة أيضا على جنباته، ويرجِّح أن تكون هذه مدينة داي[11].

2. عصر الأدارسة

قامت كنزة الأوْرَبية، والدة إدريس الثاني بتقسيم المغرب بين أبنائه (أحفادها). واختلفت المصادر التاريخية حول من استأثر بمنطقة تادلا، حيث يذهب صاحب **روض القرطاس** إلى أنها كانت من نصيب ابنه أحمد[12]، بينما يورد البكري في كتابه **المسالك والممالك** أن يحيى ابن إدريس هو الذي اختص بداي وما حولها من البلاد[13]، وذلك ابتداء من سنة 213 هـ/829م. وقد عمل الأدراسة على تأسيس إمارة بتادلا حتى يتسنى لهم نشر الدعوة الإسلامية، لاسيما بمناطق الأطلس المتوسط، فقد أشار ابن أبي زرع الفاسي إلى أن إدريس الأول "سار إلى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها، وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية والإسلام بها قليل..."[14].غير أننا لا نتوفر على معلومات ضافية

---

[10] بوشعيب العكرود، "كتابات جبل رات، معلمة تاريخية تحتاج إلى إنقاذ"، **جريدة ملفات تادلة**، العدد 28/27، مارس/أبريل 2000، ص7.

- Ministère d'Etat chargé des Affaires Culturelles, *Catalogue des sites rupestres du sud marocain*, Rabat, 1977, Planches 86-94.

[11]-Gautier, E.-F. "Medinat-ou-Dai", *Hespéris Tamuda*, 4, 1926, p.7.

[12] نفس المصدر، ص51.

[13] أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، حققه وقدم له: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الجزء الأول، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1992، 1349، ص806.

[14] علي بن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1979، ص20.

حول هذه الإمارة[15]. ومما يؤكد توغلهم داخل جبال الأطلس المتوسط دور السكة التي أقاموها في كل من مناطق وازقور، وامريرت، واومهنا[16].

وازكـــور

« وازكور ، مدينة ترجع الى أواخر العصر الوسيط ، وهي مندثرة حاليا . وقد تحدثت عنها النصوص العربية القديمة مرات عديدة . وتفيدنا الوثائق المسكوكة بانها كانت توجد قبل سنة 197 ه ويشير البكري (155 – 294 ه)، إلى أن الرباضية وهم أصلا من قرطبة ربما عمروها خلال عهد إدريس الثاني (بعد سنة 202 ه) وهم بنو موسى .

ويحدد كولات موقعها على وادي زكور ، رافد الضفة اليسرى لواد أم الربيع ، على بعد نحو ثلاثة كيلومترات جنوب شرقي خنيفرة ، أي عند حدود فازاز القديم وتادلة .

وفي هذا الموقع بالفعل ، يعثر المرء على وازكور هذه باتباع الاتجاه الذي أخبر عنه البكري من أغمات إلى فاس ».

(« مدونـــة الدراهـــم الادريسيـــة والمعاصرة »
أوستاش – اصدار بنك المغرب).

وازكور 198 ه. (مجموعة بنك المغرب . الرباط . كليشه أودول).

مصطفى القصري، "النقود المسكوكة في عهد الأدارسة"، **مذكرات من التراث المغربي**، ج2، الرباط، 1984، ص79.

ثم أصبحت تادلا، منذ القرن العاشر الميلادي إلى القرن الحادي عشر، تابعة لإمارة بني يفرن الزناتية، الذين كانت عاصمتهم شالة[17].

---

[15] محمد زنيبر، "تادلا في العصر الوسيط"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، مرجع سابق، ص34.

[16] للمزيد من التفاصيل حول هذه الدور أنظر:

- Eustache, D. "Les ateliers monétaires", *Hespéris Tamuda*, Vol. 11, 1970, p.95-102.

وعندما حل الأدراسة بمنطقة تادلا وجدوا فيها عدة تجمعات بشرية من بينها داي، التي عم إشعاعها الفكري والديني كل المراكز التادلية كقرية فشتالة وتاكزيرت "ومحمدية تادلا وعين الحوت (...) وقلعة تاكرارت (...) وقرية نضير المعروفة حاليا بأولاد عبد الله"[18].

ولم يبق من مدينة داي في الوقت الحالي إلا ما حفظته الذاكرة من أسماء لعين وواد يحملان نفس الاسم. فما سبب تسميتها ب"داي"؟ ومن بناها؟ وما موقعها، والحدود التي كانت تمتد عليها؟

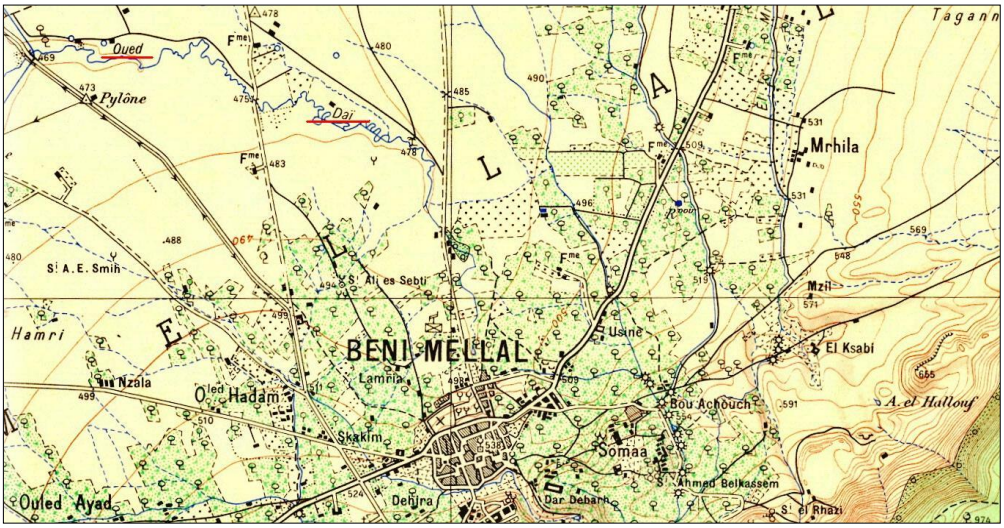

بني ملال، واد داي (خريطة المغرب، سلم 1:50.000، ورقة: NI-29-VI-2c)

بخصوص التسمية، أصل "داي" قد يكون أمازيغيا بحكم تقاربها مع لفظة "أوداي" التي تعني اليهودي بالأمازيغية. وإذا كان ذلك صحيحا، فهذا يعني أن اليهود كانوا يقطنون بهذه المنطقة بنسبة مهمة. وبالفعل فقد وجد الأدارسة لدى حلولهم بمنطقة تادلا سكانها يدينون

[17] محمد بلعتيق، إمارة بني أبي العافية: مساهمة في دراسة تاريخ وآثار المغرب الوسيط الأعلى، دراسات وأبحاث أثرية مغربية، عدد 11، وزارة الثقافة والاتصال –قطاع الثقافة–، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، 2018، ص97-99.

[18] محمد حجي، "داي أو الصومعة، مركز ثقافي ببلاد تادلا"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، مرجع سابق، ص21-22.

بالنصرانية واليهودية كما سبق الذكر[19]، ومما يؤكد هذه الفكرة أيضا وجود ملاح ومقبرة لليهود ببني ملال[20].

وهناك من يربط اسم "داي" بالداء، لما عرفت به المنطقة من كثرة الأمراض الناتجة عن تعدد العيون والشلالات والمستنقعات. وهذا ما ورد عند الحسن اليوسي في كتابه **المحاضرات**، والعباس بن إبراهيم في كتابه **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**[21].

يظهر إذن أن مدينة داي مقبرة تحت البنايات الحديثة لمدينة بني ملال الحالية، أو لعلها تتواجد في إحدى ضواحيها. غير أن گوتيي، اعتمادا على الرواية الشفوية التي جمعها الرائد طاريت (Tarrit)، يحدد موقع داي في المنطقة الواقعة ما بين وادي درنة ووادي داي، ويضيف أن هذا الموقع عرف في العصور الوسطى تجمعات سكنية مهمة استمرت إلى الوقت الراهن، من بينها تاكزيرت، وفشتالة، وفم العنصر، وأدوز، وبني ملال. كما أن المنطقة تتميز بأشجار الزيتون الكثيفة، ووفرة المياه الداعية إلى الاستقرار والرفاه[22].

كل هذا يجعل الإحاطة بمختلف أوجه الحضارة والعمران بهذه المدينة أمرا غير متاح بعد، في انتظار إجراء تحريات ميدانية دقيقة أو حفريات أركيولوجية. ومن ثَمَّ، فإن البحث لم يستطع لحد الآن أن يكشف عن ظروف إنشاء هذه المدينة ولا المساحة التي كانت تشغلها بالتحديد. وكل ما هو معروف لدينا أنها كانت قائمة قبل إنشاء دولة الأدارسة، وكانت هي قاعدة المنطقة في عهدها، وأنها كانت مزدهرة اقتصاديا بفضل توفر زراعة القطن ووفرة المياه...، وتجاريا لوجودها على مفترق طرق ومسالك متعددة. هذا بالإضافة إلى وجود معدن النحاس، كما أن سكانها كانوا يتشكلون أساسا من البربر واليهود[23].

---

[19] أنظره في مكان سابق من هذا المقال.

[20] أنظر: – المصطفى بن خليفة عربوش، **بني ملال، حاضرة تادلا/أزيلال: التاريخ والتراث**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م، ص245-250.

- De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.63 ; Gautier, E.-F. *op.cit*, p.9-10.

[21] أنظر محمد حجي، مرجع سابق، ص20. في هذا الإطار يقول الحسن اليوسي:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بسهب الشنين أو بسهب بني ورى

وهل تعبرن نهر العبيد ركائبي وهل تتركن **دايـاً** وأدواءهـا ورى

[22] Gautier, E.-F. *op.cit*, p.18.

[23] أنظر، الشريف الإدريسي، مصدر سابق، ص75.

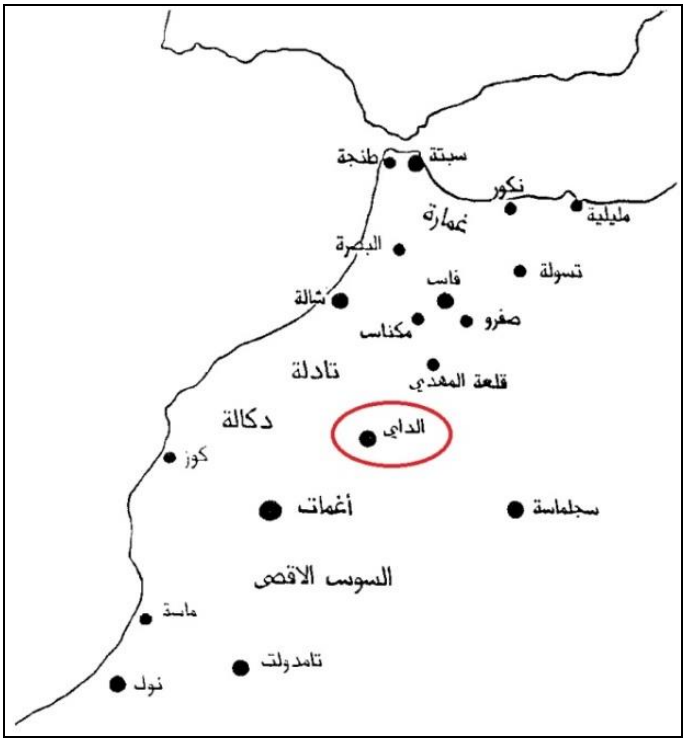

موقـع داي (محمد زنيبر، "زينب النفزاوية"، **مذكرات من التراث المغربي**، ج2، الرباط، 1984، ص139).

3. عصر المرابطين

كانت مدينة داي في العصر المرابطي بارزة على مسرح الأحداث والوقائع، وبصمت تاريخ منطقة تادلا على وجه الخصوص، وتاريخ المغرب الإسلامي عموما.

فعندما حاصر المرابطون مدينة أغمات بعد قدومهم من الصحراء، فر الأمير المغراوي لقوط إلى منطقة تادلا ولجأ إلى حمى بني يفرن[24].

[24] يقول ابن أبي زرع في هذه الواقعة: "فلما رأى لقوط ما لا طاقة له به أسلمها (أي أغمات) له وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه إلى ناحية تادلا، فنزل في حمى بني يفرن أربابها. فأقام عبد الله بن ياسين بمدينة أغمات نحو الشهرين حتى استراح المرابطون، ثم خرج بهم إلى غزو تادلا، ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ملوكها، وظفر بلقوط المغراوي فقتله، ثم سار إلى بلاد تامسنا ففتحها (...)" (علي بن أبي زرع، مصدر سابق، ص129).

وبعد استيلاء المرابطين على منطقة تادلا، أصبحت هذه الأخيرة تابعة للأمير تميم بن يوسف بن تاشفين ضمن مجال واسع كان يشمل أيضا أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وتامسنا. وبعد تخريبهم لمدينة داي، عمل المرابطون على تجديدها أو شيدوا عوضا عنها أو بالقرب منها حصنا آخر[25] فهل هو قلعة تاكرارت؟ أم هو حصن آخر كان يوجد بالقرب من الصومعة (صومعة سيدي أحمد بن قاسم) التي ما تزال صامدة لحد الآن بالحي الذي يحمل نفس الاسم (حي الصمعة بمدينة بني ملال)؟

فحسب گوتيي (Gautier) الذي اعتمد على الرواية الشفوية التي جمعها الرائد طاريت (Tarrit)، فإن مدينة داي كانت مترامية الأطراف، حيث بلغ قطرها حوالي 60 كلم. وحسب رأيه، لم يبق مما يشهد على هذه المدينة سوى خرائب تاكرارت وصومعة سيدي أحمد بن قاسم [26].

في حين يؤكد كل من محمد حجي[27] ومحمد بن البشير بوسلام[28] على كون حصن تاكرارت وقصبة داي مؤسستين مرابطيتين مستقلتين عن بعضهما.

يبدو مما سبق أن القراءة الأخيرة أقرب إلى المنطق. فبعد تاكرارت عن الصومعة بحوالي 12 كلم من جهة، وصغر مساحة مدينة داي من جهة أخرى[29]، يجعلنا نرجح فكرة استقلالية تاكرارت عن مدينة داي. بالإضافة إلى اندثار معالم وحدود داي، الشيء الذي يصعب معه الجزم في هذه المسألة. وحدها الحفريات الأثرية والتحريات الميدانية كفيلة بتوضيح الرؤية وحل هذه الإشكالية.

إلا أن هذا لا يمنع من تصور وجود حصن داي بجوار الصومعة المرابطية التي لازالت قائمة لحد الآن. وما يدعم هذه المقولة حسن اختيار موقع استراتيجي بين السهل والجبل حيث وفرة العيون والمجاري المائية. كما أن الحي الذي توجد به الصومعة استمد تسميته من هذه الأخيرة، مما يوحي بقدمه مقارنة مع باقي أحياء مدينة بني ملال الحالية.

---

[25] لعل داي هو الموقع الذي يقصده صاحب الاستبصار عند حديثه عن تادلا قائلا: "وهي مدينة قديمة أزلية، فيها آثار للأول، بنى الملثمون فيها حصنا منيعا، وهو الآن معمور وفيه الأسواق والجامع (...)."(**الاستبصار في عجائب الأمصار**، مصدر سابق، ص200).

[26] Gautier, E.-F. *op.cit*, p.7-8.

[27] محمد حجي، مرجع سابق، ص20.

[28] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص59.

[29] الشريف الإدريسي، مصدر سابق، ص75.

ومهما يكن من أمر، تبقى هذه الصومعة وآثار حصن تاكرارت الشاهدين الوحيدين، لحد الآن، على الفترة المرابطية بمنطقة بني ملال.

والصومعة، في حالتها الأولى قبل الترميم، مربعة الشكل (4,60 x 4,60 متر)، وقد فقد الجزء العلوي منها. وهي تتكون من جدار خارجي، ونواة وسطى يتدرج حولها سلم من الأدراج، وتتخلل الصومعة نوافذ وسقوف مزدوجة من الأخشاب والآجُر تغطي الممرات. وهي مبنية بالأحجار والتراب الأحمر الممزوج بفتات الصخور والجير[30].

ومعلوم أن حالة الصومعة المتردية والخطر الذي شكله ذلك على المارة وسكان الحي، إضافة إلى أهميتها التاريخية والأثرية والهندسية، جعلها تخضع لعملية الترميم عام 2003[31].

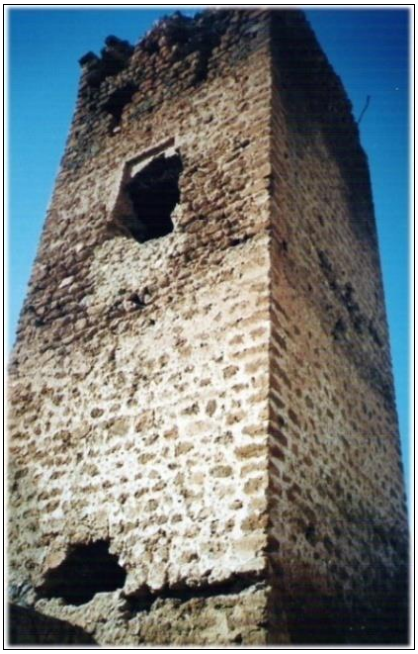

الصومعة قبل الترميم

الصومعة بعد الترميم

[30] المعلمة مرتبة طبقا للفصل 10 من المرسوم رقم 0790-57-2 بتاريخ 23 رجب 1377 هـ/الموافق لـ 13 فبراير 1958م المنشور بالجريدة الرسمية رقم 2368 بتاريخ 1958/03/14م، صفحة 467.

[31] مندوبية جهة تادلة/أزيلال (وزارة الثقافة)، **تقرير حول نهاية أشغال ترميم الصومعة المرابطية**، بني ملال، 2003.

وتوجد تاكرارت على بعد حوالي 12 كلم شمال مدينة بني ملال على بعد كيلومترين من الضفة اليسرى لوادي درنة أحد أهم روافد أم الربيع[32].

ولتسمية تاكرارت الأمازيغي معنيان: المحلة المحصنة التي جاء ذكرها في المصادر التاريخية[33]، والقافلة[34].

وقد وصف صاحب **الاستبصار**، الذي عاش في عهد الدولة الموحدية، تاكرارت بأن "هذه المدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة وأحدث فيها الأمر العالي –أيد الله دوامه–[35] بحائر عظيمة في نهاية من الاتساع، وجلب لها ماء نهرها، وأمر بغرسها زيتونا وكروما"[36] وهذا ما أكده فعلا الرائد طاريت (Tarrit) الذي اعتمد عليه گوتيي (Gautier)، بعثوره على بقايا لتزويد تاكرارت بقنوات مائية[37] انطلاقا من وادي درنة، أحد روافد أم الربيع.

ولم يصمد من تاكرارت في الوقت الحاضر إلا جزء صغير من سورها وبعض قواعد الأبراج، بالإضافة إلى قطع من الخزف والزليج والآجر المتناثرة في الحقول المجاورة.

---

[32] Gautier, E.-F. *op.cit*, p. 8.

[33] **الاستبصار في غرائب الأمصار**، مصدر سابق، ص187-188.

[34]- مصطفى عربوش، **من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989، ص122.

- أبو العباس بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج 7، ص48.

- محمد حجي، مرجع سابق، ص22.

[35] لا شك أن صاحب الاستبصار يتحدث عن يعقوب المنصور الموحدي الذي عاصره ولم يترك مناسبة دون التنويه بالدولة الموحدية ومآثرها وأعلامها وملوكها.

[36] الاستبصار، مصدر سابق، ص187-188.

[37] Gautier, E.-F. op.cit, p.8.

بعض الأجزاء المتبقية من قلعة تاكرارت

4. عصر الموحدين والمرينيين والوطاسيين

1.4. العصر الموحدي

بعد سنتين من تولي عبد المومن بن علي الگومي للحكم عام 524هـ-1130م، بسط نفوذه على منطقة تادلا. وكانت هذه أول غزوة يقوم بها منذ توليه الخلافة[38]، مما يدل على أهمية هذه المنطقة.

وعلى عكس الخطة العسكرية التي اتبعها المرابطون، نهج الموحدون خطة مغايرة تجلت في إحكام السيطرة على المناطق السهلية انطلاقا من الجبال. وقد وضح هذا الطرح أبو بكر بن هلي الصنهاجي، المعروف بالبيدق في كتابه **أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين** بقوله: "ثم هبطنا بموضع يقال له تاكرارت متاع داوود بن عائشة ثم خرج منا جمع

[38] الناصري، مصدر سابق، ج 2، ص102.

يقول علي بن أبي زرع، مصدر سابق، ص186: "فكان أول غزوة غزاها (عبد المومن) في خلافته غزوة تادلا، خرج لها من تينمل يوم الخميس 24 لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمائة (13 يناير 1132م) في ثلاثين ألفا من الموحدين حتى وصل تادلا، فغنمها وسبى أهلها وانصرف".

فأكل تاكرارت فأقبل بغنائهما ثم رحلنا منها لموضع يقال له داي"[39]. ومعلوم أن بقايا أسوار تاكرارت توجد الآن بأراضي سهلية في منطقة الدير المحاذية لجبال الأطلس المتوسط.

ولم يكشف البحث لحد الآن عن وجود دلائل وآثار موحدية بمنطقة تادلا. ولعل ما يفسر ذلك هو عدم الاستقرار والصراع اللذين شهدتهما المنطقة إبان حكم هذه الدولة. ومما زاد من حدة ذلك وصول قبائل بني هلال من إفريقية وحلول جزء منها بتادلا، ويتعلق الأمر بعرب بني جابر، أكبر فروع بني جشم، هؤلاء الذين استوطنوا تامسنا الكبرى. وكان ذلك في عهد يعقوب المنصور الموحدي، الذي حاول تهدئة الوضع بإقدامه على تعيين عمه أبي الربيع واليا على المنطقة، لكن سرعان ما اغتاله نظرا لطمعه في الحكم. وقد يكون مثل هذا الصراع بين الأسر الحاكمة حول الملك[40] سببا آخر في اندلا ع النزاعات داخل المنطقة.

بعد هذه الفترة، لم تتحدث المصادر التاريخية عن منطقة تادلا إلى غاية اعتلاء الدولة المرينية الحكم بالمغرب.

2.4. عصر المرينيين والوطاسيين

لما استتب الأمر للسلطان المريني أبي بكر بن عبدالحق، خرج إلى منطقة تادلا واستطاع أن يخمد تحركات عرب بني جابر وأن يحد من قوتهم بالمنطقة[41].

كما أخضع السلطان المريني يعقوب منطقة تادلا سنة 666هـ/1267م-1268م. وأغار على الخلط، وهم أصلا من قبائل جشم (من قبائل بني هلال) التي كانت موالية للموحدين[42]. كما عمل هذا السلطان على استمالة قبائل بني جابر وتقريبهم إليه، وذلك بإشراكهم في الجهاد والعبور إلى الأندلس تحت قيادة أبي زيان بن يعقوب المنصور المريني[43]. ويذكر الناصري أن عامل المرينيين على مراكش، في عهد السلطان أبي سا لم بن أبي الحسن المريني، وهو الحسن بن عمر ثار والتجأ إلى تادلا وتحالف مع بني جابر، لكن السلطان المريني

[39] أُنظر محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص47.

[40] **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد الرابع، ص459.

[41] الناصري، مصدر سابق، الجزء 3، ص18.

[42] نفسه، الجزء 3، ص26؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ص459.

[43] الناصري، مصدر سابق، الجزء 3، ص60.

أمر وزيره الحسن بن يوسف بمطاردته، فاستطاع اعتقاله صحبة زعيم بني جابر الحسن بن علي الورديغي[44].

وهذا ما يُبرز الدور الذي لعبته قبائل بني هلال بالمغرب عامة، وبني جابر خاصة، بمنطقة تادلا وما شكلته من خطورة بالغة، فقد كانت بمثابة الكفة الراجحة في الحكم، خاصة في عهد الموحدين والمرينيين. وهذا ما جعل كل أسرة من الأسر الحاكمة تضع من أولوياتها التحكم في هذه القبائل بالقوة والبطش تارة، وبالاستمالة والتقريب تارة أخرى.

وفيما يتصل بمجال تادلا خلال العصر المريني وآثارهم به، فيصعب الجزم بصحته، خاصة في الوقت الراهن. إذ يمكن الحديث بالأحرى عن الآثار المعاصرة للعهد المريني أكثر من الحديث عن تلك التي تحمل البصمات والخصائص المعمارية والحضارية المرينية. ولعل ذلك راجع إلى الازدهار الاقتصادي الذي عرفته المنطقة في هذه الفترة الزمنية نتيجة توفر موارد العيش والاستقرار، ونظرا للموقع الاستراتيجي بين شمال المغرب وجنوبه، وازدهار الفلاحة وتطور الحرف والصنائع، مما جعل التجارة تحقق أرباحا طائلة، سواء تعلق الأمر بتجارة القوافل أو المبادلات التجارية مع المناطق المجاورة. ويمكن تأكيد ذلك من خلال نموذج فشتالة (أو تافزة حاضرة تادلا آنذاك) التي ورد وصفها عند بعض المؤرخين، وفي مقدمتهم الحسن الوزان الذي زار المنطقة في سنة 915هـ/1510م، وأكد أنها كانت تحكم على شكل "جمهورية"[45]. ولعل هذا النوع من الاستقلال الذي كانت تتمتع به فشتالة ناتج عن الازدهار الاقتصادي الذي كانت تعرفه. وبشهادة الحسن الوزان نفسه[46]، فإن "سكان تفزة كثيرون أثرياء، وفيها نحو مائتي دار لليهود، كلهم تجار أو صناع. يقصد تفزة عدد وافر من التجار الغرباء ليشتروا منها بعض المعاطف السود (...) ويباع بتفزة على الخصوص أدوات مصنوعة بفاس، كالأقمشة والسكاكين والسيوف والسروج" وغيرها من السلع التي كانت تروج إما عن طريق المبادلة بالبضائع المحلية كالرقيق والخيل والفيلة والجلد... أو نقدا بالقيمة الذهبية (قطع غير مسكوكة تشبه المثاقيل)، مع الإشارة إلى انعدام العملة الفضية بفشتالة آنذاك. أما تفزة فقد وصفها الحسن الوزان بأن لها سورا مبنيا بنوع من الحجر الكلسي المدعو عند أهل البلدة

[44] الناصري، مصدر سابق، الجزء 4، ص32.

[45] الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1400 هـ-1980م، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ص140.

[46] الحسن الوزان، نفسه، ص139-140.

بتفزة، ومن هناك جاءت تسمية المدينة. وفيهاأيضا عدد وافر من المساجد والأئمة والقضاة[47].

دشن المرينيون حكمهم على المغرب بالسيطرة على القرى والقوافل التجارية العابرة للمغرب. وفي هذا الإطار، جاء تدخلهم في فشتالة التي كانت تمثل أهم مركز تجاري على الطريق الرابط بين فاس ومراكش، في عهد أبي سعيد عثمان[48]. وقال الحسن الوزان إنه عاين حصار جيوش السلطان المريني لتفزة[49]. ويقول أوغست كور (A. Cour) إن فشتالة هي عاصمة تادلا التي دخلها أوائل السعديين سنة 952هـ/1545م، وطردوا منها أواخر المرينيين، وأنه لما انهزم السلطان المريني، وألقي عليه القبض على ضفاف وادي درنة، فتح حاكم فشتالة أبواب مدينته على مصراعيها، فاقتفت أثره كل مراكز إقليم تدلا[50]. كما وصف الحسن الوزان لجوء مجموعة من أعيان فشتالة إلى السلطان الوطاسي بفاس ليساعدهم على إقرار الأمن بها، فأمدهم بجيش كبير: 2000 فارس و700 من الرماة بقيادة الزرانكي الذي لم يتمكن من دخول فشتالة إلا بعد صراع مرير، نظرا لتحالف سكان المدينة مع عرب بني جابر[51].

ولازالت أجزاء مهمة من مآثر مدينة فشتالة صامدة لحد الآن في وجه العوامل الطبيعية والبشرية، وهي بتقنية التراب المدكوك (أو التابوت). ومن هذه المآثر التي تنسبها الرواية الشفوية إلى السلطان الأكحل (أبو الحسن المريني)، نجد مسجدا يسميه العامة بمسجد المولى سليمان، وأسوارا عالية ذات أبراج وأبواب بالإضافة إلى العديد من اللقى الأثرية التي يتم العثور عليها من حين لآخر من طرف السكان، وأبرزها القطع الخزفية والنقدية وبعض الأجزاء من قنوات الشبكة المائية[52].

---

[47] الحسن الوزان، نفسه، ص139-140.

[48] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الثاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص14.

[49] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص177-183.

- Gautier, E.-F. *op.cit*, p.17.

[50] Cour, A. *L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc*, Paris, 1940, pp.71-72.

[51] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص177-178-179.

[52] زيارة ميدانية قام بها كاتبا المقال.

جزء من السور الشرقي لقصبة فشتالة

(محمد شكري[53]، **تقرير حول موقع فشتالة**، الصورة11، ص9)

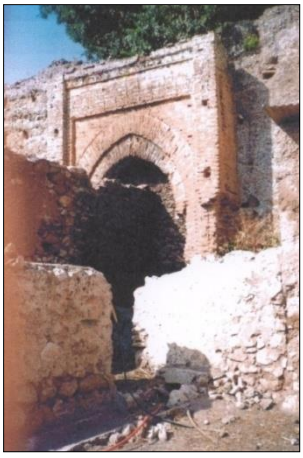

المدخل الرئيسي لمسجد مولاي سليمان (فشتالة)

(نفسه، الصورة5، ص4)

محراب مسجد مـولاي سليمان

(نفسه، مرفقات)

يشار كذلك إلى انتشار الزوايا وأهميتها بمدينة فشتالة، التي كانت مركزا للعلم والتصوف منذ القرن 6هـ/12م. ومن أهم علمائها في تلك الفترة: عبدالله بن موسى الفشتالي (ق7هـ/13م) وأحمد الفشتالي (ق8هـ/14م) والذي كان من شعراء القصر المريني[54].

[53] محافظ/مفتش المباني التاريخية بالمديرية الجهوية لوزارة الثقافة والاتصال –قطاع الثقافة ببني ملال.

[54] مصطفى عربوش، **أحمد بن أبي القاسم، شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1998، ص31.

ومن ناحية أخرى، وعلى مستوى اللفظ، يطرح التقارب الموجود بين تفزة، وأفزا، وفزاز إشكالا تاريخيا وجغرافيا.

فإذا كانت تفزة هي فشتالة، كما سبق، فإن محمد بن البشير بوسلام يؤكد على أن أفزا هي تاگزيرت الحالية، معتمدا في ذلك على استقراء ما ورد عن الحسن الوزان الذي يؤكد على أنه يمر بين أفزا وتفزة نهر يدعى درنة ينبع من الأطلس ويمر بين التلال قبل أن يسيل في السهل وقبل أن يصب في نهر أم الربيع[55]، وأن أفزا مدينة صغيرة توجد على بعد نحو ميلين من تفزة[56]. أما بخصوص فازاز، فإن الأبحاث والتحريات الميدانية أبانت عن اكتشاف مدينة إسلامية بجبال فازاز بالأطلس المتوسط، تقع على ضفاف بحيرة تومليلين ونهر شبوكة على بعد حوالي 15 كلم من مدينة خنيفرة. ومن خلال اللقى الأثرية، وخاصة النقود، يتضح أن هذه المدينة قد شهدت حكم المرابطين والموحدين وربما المرينيين[57].

5. عصر السعديين

ارتبط ظهور الدولة السعدية أساسا بضعف الحكم الوطاسي، وتراجع مناطق نفوذه وتمركزه بالخصوص حول مدينة فاس من جهة، ومن جهة أخرى اكتساح البرتغال للشواطئ المغربية.

وبعد أن استتب الأمر للسعديين بمراكش، حاولوا الزحف نحو الشمال (فاس). وفي طريقهم، اصطدموا بالوطاسيين في منطقة تادلا، فدارت بين الطرفين معركة بالمكان المسمى "أبي عقبة"[58] على مقربة من وادي العبيد سنة 943-944هـ/1536-1537م كان النصر فيها حليف السعديين. وأدت هذه المعركة إلى تقسيم المغرب إلى منطقتين يفصل بينهما

---

[55] الحسن الوزان، مصدر سابق، ص183. "يدعو مارمول هذه المدينة (تبزة)، ويقول إنها في عصره (1543) عانت كثيرا من ويلات الحرب، ويفترض وجودها في موقع تغزيرت عند خروج نهر درنة إلى السهل" (الحسن الوزان، مصدر سابق، إحالة 95، ص183).

[56] الحسن الوزان، مصدر سابق، ص183.

[57] أحمد صالح الطاهري، "فازاز"، **معلمة المغرب**، الجزء 19، ص6389.

"اكتشاف مدينة أثرية بجبال الأطلس المتوسط"، **جريدة العلم**، 1996/09/29، ص5.

- جوهرة أشيبان، "حول اكتشاف أكبر مدينة أثرية في المغرب بجبال فازاز"، مجلة تاريخ المغرب، العددان 7 و8، ماي 1988، ص8-9.

-"Khénifra, une autre cité enfouie", *le Matin du Sahara et du Maghreb*, 5/10/1996, p.10.

-"Des chercheurs marocains découvrent dans la région de Khénifra une cité datant du XII siècle", *Al-Bayane*, 6/10/1996.

[58] محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ص56.

وادي العبيد: منطقة نفوذ السعديين الممتدة من تادلا إلى السوس، ومنطقة حكم الوطاسيين من تادلا إلى المغرب الأوسط[59].

وبحكم وجود مدينة فشتالة على الطريق الرئيسية، فقد كانت أول ما استرعى انتباه السعديين لدى حلولهم بمنطقة تادلا[60]. فحاولوا الاستيلاء عليها في جيش مكون من عشرة آلاف فارس لاختراق أسوار فشتالة. لكنهم لم يتمكنوا من ذلك وانسحبوا منهزمين. وكان ذلك سنة 952هـ/1545م التي وقعت فيها معركة بين السعديين والوطاسيين على ضفاف نهر درنة وانهزم فيها الوطاسيون، مما اضطر حاكم فشتالة إلى الاستسلام.

واستتبابا للأمن والاستقرار، عين أحمد المنصور الذهبي إبنه زيدان واليا على تادلا ونواحيها، ومحمد الشيخ المامون على فاس والغرب، وأبا فارس على مراكش وضواحيها[61]. إلا أنه بعد وفاة المنصور دخل أبناؤه في صراعات مريرة حول الحكم، أدت إلى اقتسام البلاد إلى إمارتين: من تادلا إلى تازة لزيدان، ومن تادلا إلى سوس لأبي فارس[62].

ومن الآثار التي خلفها السعديون في مجال تادلا: زاوية أبي عثمان وقصبة الزيدانية.

تأسست زاوية أبي عثمان على يد الشيخ الصوفي العلامة أبي عثمان سعيد ابن أحمد ابن موسى الملقب أمسناو (أي العالم بالأمازيغية)، وهو أحد تلامذة الشيخ عبدالعزيز التباع أشهر مريدي الشيخ محمد بن سليمان الجازولي[63]. وقد كانت هذه الزاوية في عهده مركز علم ودين وصلاح. وتتلمذ على يده العلامة الشيخ أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم بن عبدالعزيز الشعبي الهروي التادلي[64]، والذي عرفت معه الزاوية أوجها. ولد أحمد التادلي الصومعي في بلدة الصومعة، ونشأ في أسرة متدينة وفي وسط متصوف. وقد اختلف في سنة ولادته، حيث يرى ليفي بروفنصال (L. Provençal) وكارل بروكلمان (K. Brocklman)

---

[59] محمد الصغير الإفراني، نفس المصدر، ص57.

[60] إدريس أبو إدريس، "تادلا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، إشكالية الالتقاء والتمازج"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، مرجع سابق، ص76.

[61] عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، الجزء الثالث، الرباط 1931، ص68.

[62] إدريس أبو إدريس، مرجع سابق، ص76.

[63] محمد حجي، مرجع سابق، ص23.

[64] أحمد التادلي الصومعي، **كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1996. (انظر مقدمة التحقيق، ص16)؛ محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ (2)، الجزء الثاني، مطبعة فضالة، 1398هـ-1978م، ص504-506.

ومحمد حجي أنه ولد سنة 920هـ/1514م[65]. في حين يؤكد علي الجاوي، محقق كتاب **المعزى** (**لأحمد** التادلي الصومعي)، أن هذه الولادة كانت عام941-942 هـ/1534-1535م[66].إلا أن محمد البشير بوسلام يرجح أن تاريخ الميلاد "إما أنه كان سنة 914هـ/1508م أو في 904هـ/1498م"[67]. وتعلم أحمد التادلي الصومعي في طفولته القراءة والقرآن في زاوية الصومعة على يدي الشيخ أبي عثمان سعيد، وكان يربط اتصالات دائمة بكبار مشايخ التصوف في تادلا. ولما فرغ من دراسته بالزاوية العثمانية قصد فاس لاستكمال وتلقي علوم الدين واللغة. فكان أن حصل على ثقافة متنوعة وعالية في العلوم الدينية والأدب واللغة والتاريخ[68]. ثم عاد بعد مسيرته العلمية إلى بلدته الصومعة حيث اشتغل بالتدريس ونشر العلم والتأليف وتلقين مبادئ التصوف للمريدين[69]. ومن بين أهم مؤلفاته: **كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**. وكانت حصيلة كل ذلك في أواخر حياته أن تجمع في مكتبته مؤلفات كثيرة في التصوف والمناقب والتاريخ والأرجوزات والأدعية والأذكار وغيرها[70]. وبعد وفاته سنة 1013هـ/1604م، دفن بزاويته[71] التي تم تجديدها، وغدت اليوم محجا ومزارا مهما للعديد من سكان المناطق المجاورة. بينما تراجع اهتمام الناس بالقبة العثمانية التي تم إهمالها فأصبحت عرضة للخراب والتهميش[72].

وكان قد حصل اختلاف في وجهات النظر بين سيدي أحمد بن قاسم الصومعي قبل وفاته بسنة وبين الأمير زيدان حول الصياغة اللغوية لعنوان كتاب **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى** لمؤلفه أحمد بن أبي القاسم. وقد احتكما وتشبث كلاهما برأيه، مما أدى إلى نفي العلامة والشيخ التادلي إلى مراكش من طرف أحمد المنصور الذهبي[73]. وبعد وفاة السلطان سنة 1012هـ/1603م، عاد أحمد بن أبي القاسم إلى بلدته الصومعة (ببني ملال) وظل بها إلى أن توفي في السنة الموالية. ومعلوم أن الصومعة كانت مقر إمارة حكم الأمير زيدان لبضع

---

[65] أحمد التادلي الصومعي، مصدر سابق، (أنظر مقدمة التحقيق، ص17).

[66] نفسه، ص17.

[67] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص62.

[68] نفسه، ص18.

[69] نفسه، ص18-19.

[70] عن مؤلفاته، أنظر أحمد التادلي الصومعي، مصدر سابق، (مقدمة التحقيق)، ص22-25.

[71] نفس المصدر، (أنظر مقدمة التحقيق، ص25). الزاوية مرتبة طبقا للفصل 10 من المرسوم رقم 0790-57-2 بتاريخ 23 رجب 1377هـ/الموافق ل13 فبراير 1958 المنشور بالجريدة الرسمية رقم 2368 بتاريخ 1958/03/14م، ص467.

[72] وهي مرتبة طبقا لنفس الفصل من نفس المرسوم الذي بمقتضاه تم ترتيب زاوية سيدي أحمد بن قاسم (أنظر الإحالة 72).

[73] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص62-63.

سنوات بعد توليته واليا على تادلا، قبل بناء مقر إقامته الجديد بالقصبة الزيدانية التي انتقل إليها فيما بعد. ورغم هذا الانتقال، بقيت الصومعة تحتفظ بأهميتها الدينية والعلمية، وكانت علاقة أشياخها وطيدة مع الأمراء السعديين في القصبة الزيدانية[74].

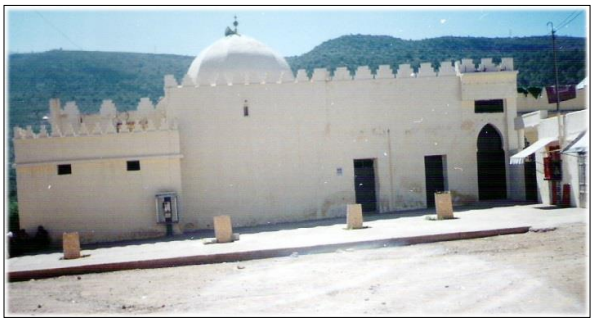

قبة سيدي بوعثمان

زاوية سيدي أحمد بن قاسم
(شيخ الصومعة)

وقد نسبت الزيدانية إلى مؤسسها الأمير زيدان بن أحمد المنصور وتعد أجمل ما خلفه السعديون بمنطقة تادلا. وتوجد بين مدينتي بني ملال وقصبة تادلة على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع (بجماعة أولاد عبد الله). ولازالت آثار هذه القصبة التاريخية تشهد اليوم على عظمة وفنية البناء، حيث الأسوار العالية وبقايا حمامات وأقواس وبعض القطع من الفسيفساء والفخار والزليج[75]. وهي قيد الترتيب في عداد الآثار الوطنية نظرا لقيمتها التاريخية والأثرية والعمرانية.

[74] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص62.

[75] قمنا بمعاينة الموقع.

بعض أسوار قصبة الزيدانية

جانب من سطح السقالة (قصبة الزيدانية)

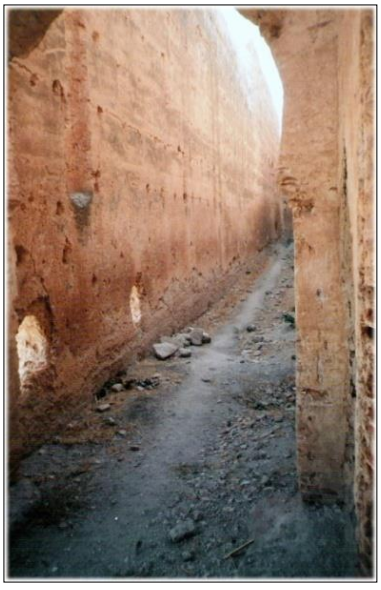

مدخل مقوس وممر داخلي (قصبة الزيدانية)

6. عصر الزاوية الدلائية

ظهرت عدة اضطرابات وفتن بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي عام 1012هـ/1603م. فقد بايع أهل فاس زيدان الذي كان عاملا على تادلا، وبايع أهل مراكش أبا فارس. والتقى جيشا السلطانين الأخوين على ضفة نهر أم الربيع في معركة انهزم فيها زيدان وفر إلى تلمسان[76]. وتعتبر أواخر الدولة السعدية فترة حالكة استغل الفرصة إثرها مجموعة من أصحاب الزوايا كالمجاهد العياشي السلاوي وأبي حسون السملالي والدلائيين[77].

ولفظ الدلاء عربي، جمع دلو، وهو إناء يستقى به. وقد استعمله بهذا المعنى الحسن اليوسي ومحمد المرابط الدلائي[78]. ويتساءل محمد حجي[79] عن سبب إطلاق هذا الاسم العربي الصرف على بقعة موجودة في وسط أمازيغي وفي منطقة جبلية أغلب سكانها من الأمازيغيين (زيان). وانطلاقا من تقارب لفظي "دلا" و"تادلا" يفترض أن الاسمين كانا مترادفين لمسمى واحد، ويستدل على ذلك بكتابات عبد العزيز الفشتالي الذي أطلق لفظ "الدلا" على تادلا[80]. وبعد أن استقرت الزاوية الدلائية أصبحت تعرف بـ "الدلاء" بينما بقيت السهول المتخامة لها تعرف بـ "تادلا". ونجد المؤرخ أبا القاسم الزياني "يبربر" لفظ "الدلا" فيكتبه "يدلا"[81].

وقد عاصرت الزاوية الدلائية العصر الذهبي للسعديين وكذا فترة تراجعهم. والدلائيون من قبيلة مجاط أحد فروع لمتونة الصنهاجية[82]، استوطن أجدادهم جبل الدلاء خلال القرن 14م[83]. والملاحظ أن الزاوية الدلائية عرفت مرحلتين في تاريخها الديني والسياسي والاجتماعي والعمراني: الزاوية الدلائية القديمة والزاوية الدلائية الجديدة.

أ–الزاوية الدلائية القديمة: يعتبر أبو بكر بن محمد بن سعيد مؤسس الزاوية الدلائية حوالي سنة 974هـ/1566م بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط، بعد أن تخرج على يد أكابر

---

[76] محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ/1988م، ص20.

[77] محمد حجي، مرجع سابق، ص21.

[78] محمد حجي، مرجع سابق، ص27.

[79] محمد حجي، مرجع سابق، ص27.

[80] كما سبق الذكر في مقدمة هذا المقال.

[81] محمد حجي، مرجع سابق، ص27.

[82] محمد حجي، مرجع سابق، ص28.

[83] محمد حجي،"الزاوية الدلائية"، **مذكرات من التراث المغربي**، الجزء الثالث، الرباط، 1985، ص238.

شيوخ الشاذلية. وقد قام أبو بكر ببناء الدور والمساجد والمدارس والدكاكين في الفضاء المحيط بالزاوية، حتى أصبحت هذه الأخيرة عبارة عن مدينة كثيرة السكان والعمران[84]. وقد أشرفت الزاوية الدلائية على تعليم أبناء المنطقة، واستقطبت المريدين والطلبة من جهات أخرى (مراكش، وسوس، والأطلس الكبير...)[85]. وكان الشيخ أبو بكر ثريا حيث كان يمتلك أراضي شاسعة ورؤوس أغنام كثيرة، الشيء الذي سهل عملية تمويل الزاوية من هذه المحاصيل، والنفقة على الطلبة والعلماء. ومدارس الزاوية كثيرة وخالية من الزخارف. وكان المسجد الأعظم يحتوي على مكتبة تضم 10 آلاف كتاب. وهو ما جعل من الزاوية الدلائية المركز الثقافي الأول في المغرب بعد تراجع دور فاس ومراكش في هذا الميدان[86]. وفي المجال السياسي التفت قبائل زيان حول أبي بكر وأبنائه، فشكل ذلك قوة مهمة لحفظ النظام والأمن بالمنطقة، دون أي طمع في الحكم[87].

ب – الزاوية الدلائية الجديدة: آل أمر الزاوية الدلائية إلى محمد الحاج بعد وفاة أبيه محمد بن أبي بكر سنة 1046هـ/1636م. ومعه أدركت القبائل الأطلسية طموح الزاوية الدلائية السياسي، فالتفت حولها وساندتها، ومما يؤكد ذلك امتناع محمد الحاج عن مبايعة محمد الشيخ الأصغر السعدي، الذي شن عدة غارات على الدلائيين انهزم على إثرها جيش مراكش السعدي. وتمكن محمد الحاج من بسط نفوذه على شمال المغرب بعد القضاء على المجاهد العياشي. فأصبحت الرقعة الممتدة من مجرى نهر أم الربيع إلى البحر الأبيض المتوسط خاضعة لسلطة الدلائيين[88].

وكانت الزاوية الدلائية القديمة تشهد توافداً ملحوظاً من حاشية محمد الحاج وجنوده وأتباعه ومريديه، بالرغم من صعوبة ارتياد الجبل لزيارة الزاوية واللقاء بأميرها. مما أدى بهذا الأخير إلى أن يبني مقرا جديدا بسفح جبل الدلاء، وهو الموقع الذي توجد عليه زاوية آيت إسحاق على الطريق الرابطة بين قصبة تادلة وخنيفرة. وكان ذلك سنة 1048هـ/1638م. وضم المقر الجديد قصرا فسيحا محصنا بأسوار عالية أُحيطت به القبائل القوية بالمنطقة:

[84] محمد حجي، نفسه، ص238.

[85] محمد حجي، نفسه، ص239.

[86] محمد حجي، نفسه، ص239.

[87] محمد حجي، نفسه، ص241.

[88] محمد حجي، نفسه، ص241-242.

مجاط، وآيت إيمور، وبني مطير، وكروان وآيت إسحاق. وأصبح الاسم الجديد لهذه الزاوية هو قصبة الدلاء أو مدينة أزغار أو زاوية محمد الحاج أو الزاوية الدلائية الجديدة[89].

بلغت هذه الزاوية من الصيت الواسع والنفوذ الروحي والفكري والسياسي الكبير، ما جعل زعيمها محمد الحاج الدلائي يبادر بتأسيس دولة جديدة خلفا للدولة السعدية التي بدأت تؤول للتدهور والسقوط. وقد استتب لهذا الزعيم الأمر، بعدما هزم السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي في معركة أبي عقبة[90] سنة 1048هـ/1638[91]، وتمهد الأمر لأبي عبدالله محمد الحاج إلى أن ضم مدينتي فاس ومكناس وأحوازهما وكافة القطر التادلي[92].

وكانت الزاوية الدلائية تحمل في طياتها أسباب تفككها، وذلك بقبولها اقتسام المغرب مع أمراء الزوايا الآخرين، بالإضافة إلى ثورة الخضر غيلان أكبر مساعدي المجاهد العياشي، حيث التقى جيشا غيلان ومحمد الحاج في معركة دارت بالقرب من شاطئ مولاي بوسلهام أواخر سنة 1070 هـ/1660م، انهزم فيها الدلائيون، إلى جانب ثورة سكان الرباط وسلا والقبائل المجاورة، وأخيرا بداية نشوء الدولة العلوية[93].

7. عصر العلويين

دام النفوذ السياسي للدلائيين حوالي 35 سنة لينتهي بفترة الثورات وعدم الاستقرار نظرا لوجود زوايا أخرى منافسة، وكان شيوخها طامعين في الحكم، بالإضافة إلى نشوء الدولة العلوية التي بدأت تتوسع انطلاقا من سجلماسة بالجنوب الشرقي[94].

ففي سنة 1079هـ-1668م، استطاع المولى الرشيد أن يتغلب على الدلائيين في معركة "بطن الرمان"، فدمر زاويتهم ونفى زعماءهم إلى تلمسان ثم إلى فاس[95]. وكان ذلك بمثابة

---

[89] محمد حجي، نفسه، ص242.

[90] وهو نفس المكان الذي انتصر فيه السعديون من قبل على الوطاسيين.

[91] محمد الصغير اليفرني، مصدر سابق، ص401؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، م.س، ص459.

[92] محمد الصغير الإفراني، مصدر سابق، ص401.

[93] محمد حجي، مرجع سابق، ص246.

[94] محمد حجي، مرجع سابق، ص246.

[95] محمد الصغير اليفرني، مصدر سابق، ص404؛ ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، 1397هـ-1977م، ص213.

نهاية عهد الدلائيين. لكنهم سرعان ما أكدوا وجودهم في المجال العلمي والفكري والديني وأصبحوا يحتلون الصدارة في هذه المجالات بالعاصمة العلمية فاس[96].

وأثناء تولي المولى إسماعيل الحكم، ثار عليه ابن أخيه أحمد بن محرز وخرج عن طاعته، فدارت بينهما معركة في المكان المسمى: أبي عقبة على وادي العبيد، وذلك سنة 1085 هـ/1676م، حيث انهزم ابن محرز[97].

وفي سنة 1088هـ/1677م، قامت ثورة أحمد بن عبدالله الدلائي، فتصدى لها المولى إسماعيل سنة 1678م[98].

وقد أدت هذه الثورات والفتن بالمولى إسماعيل إلى نهج سياسة بناء مجموعة من القلاع والحصون لمراقبة وصد انتفاضات القبائل الجبلية، وكذلك خوفا "من عودة أمازيغيي صنهاجة الذين دعموا الدلائيين للمطالبة بحكم تادلا"[99].

انطلاقا مما سبق، أمر المولى إسماعيل ببناء قصبة تادلا، على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع، التي صارت حلقة من سلسلة القصبات التي تم بناؤها من أجل تطويق قبائل الجبال ومنعها من ارتياد مراعي السهول، وكذا لتحصيل الضرائب ومراقبة الطريق التجارية التي تمر عبر تادلا. وأقامت بالقصبة حامية عسكرية تسهر على تأمين الطريق السلطانية. وقد تم تدعيم قصبة تادلا بالعديد من الحصون والقلاع في كل من مناطق إغرم العلام، واويزغت، وفم أودي، وبني ملال، وفشتالة[100].

---

[96] محمد حجي، مرجع سابق، ص264-293.

[97] الناصري، مصدر سابق، الجزء7، ص49-50.

[98] الناصري، نفسه، ص53.

[99] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص50.

[100] أحمد عمالك، "ملامح من تاريخ قصبة تادلة"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، مرجع سابق، ص91.

قصبة آيت إيكو (إغرم العلام)

وفي عام 1111هـ-1699م، قسم المولى إسماعيل البلاد إلى ولايات، وجعل على رأس كل ولاية أحد أبنائه. فكانت تادلا من نصيب أحمد الذي استقر بالقصبة التي بناها والده صحبة حامية مكونة من ثلاثة آلاف من العبيد. وبنى بها قصبة جديدة ومسجدا وقصرا لإقامته. وقد مكث أحمد بن إسماعيل في تادلا حتى موت أبيه. وهذا ما يدل على أهمية هذه المنطقة من الناحية الاقتصادية والإستراتيجية وخطورتها من الناحية البشرية[101].

بالنظر لهذا الارث التاريخي لمجال تادلا، صُنِّفت قصبة تادلة في عداد الآثار الوطنية[102]، وتتكون مرافقها حالياً من[103]:

- سور ذو تصميم غير منتظم، يتخلله عشرون برجا مربعة الشكل وثلاثة أبواب رئيسية.
- خزان الماء (الباستيون)، يكمن دوره في تأمين توفير الماء الشروب في حالة الطوارئ.
- مسجد المولى إسماعيل، وتوجد صومعته خارج المسجد، وهي مكونة من نواة داخلية ممتلئة، يتم الصعود حولها عبر اثنتي عشرة دورة من الأدراج تؤدي إلى الجزء العلوي للصومعة. وكان يحيط بهذا المسجد سور لم يتبق منه حاليا إلا بعض الأجزاء، وهي مبنية بالطابية الغنية بالجير.
- مسجد أحمد الذهبي، بناه ابن المولى إسماعيل أحمد الذهبي، وهو أكبر من مسجد أبيه.

[101] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص51.

[102] طبقا للفصل الوحيد من ظهير 22 ربيع الأول 1334هـ الموافق لـ: 28 يناير 1916 الصادر بالجريدة الرسمية رقم 172 بتاريخ 7 فبراير 1916، ص42.

[103] أُنظر التصميم.

– المخازن: تتكون من عدة مستودعات.

– الإسطبل، يوجد بمحاذاة القصر، ويتكون من مجموعة من الغرف المقببة. وهو عبارة عن رواق مدعم بخمسة أقواس.

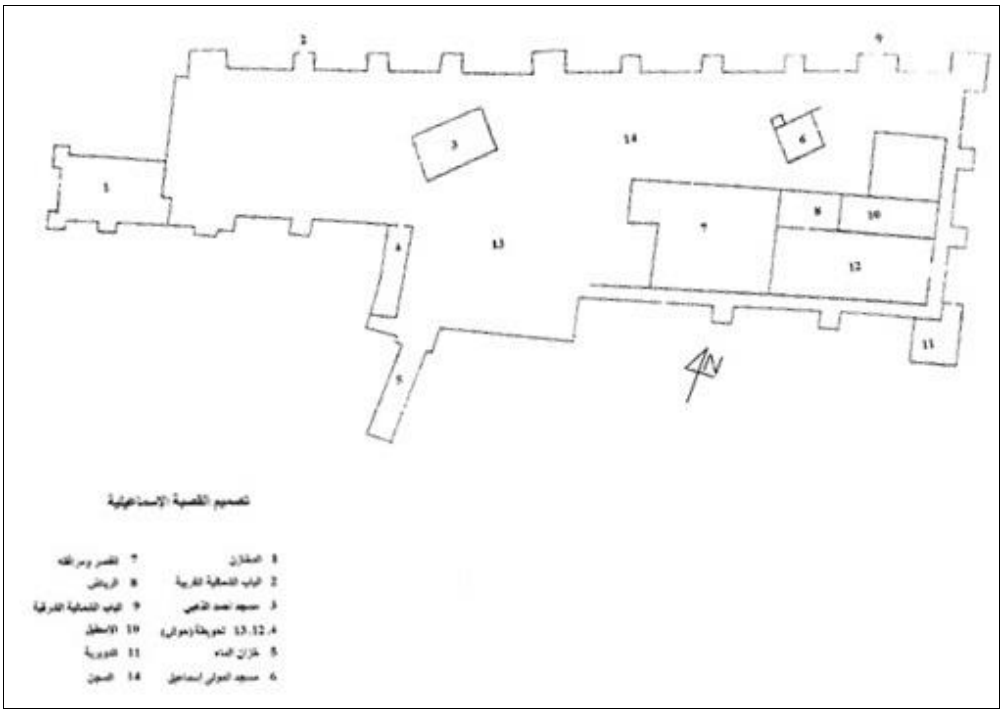

تصميم القصبة الإسماعيلية[104]

– القصر ومرافقه، وقد تم ترميم مدخله الرئيسي سنة 1932، ويتشكل من أعمدة وتيجان ومزين بزخارف نباتية وهندسية. يتكون هذا القصر من سبع غرف، الرئيسية منها توجد في الجهة الشرقية، وتنفتح على ساحة القصر، التي تحيط بها أروقة مقوسة من الجوانب الأربعة.

– الدويرية، خاصة بالأشغال المنزلية، تتوسطها ساحة واسعة محاطة بمجموعة من الغرف التي يسكنها الخدم، وأخرى ذات استعمالات متعددة.

[104] Choukri, M. *Qasba Tadla : étude des monuments historiques*, Rabat, 1992, fig.17.

– الرياض، ساحته مبنية بأعمدة من الآجور، وهو يتكون من غرفتين في الشرق وغرفة أخرى في الجهة الغربية.

– السجن، يوجد تحت أرضية جزء من القصبة.

– القنطرة، وهي التي تضمن سلامة المرور عبر وادي أم الربيع، وتتم مراقبتها وحراستها انطلاقا من أبراج القصبة. وهي مرتبة طبقا لنفس الفصل من نفس الظهير الذي بموجبه تم ترتيب قصبة تادلا[105].

وحسب تصنيف بروكان (Barrucand)[106]، فإن قصبة تادلة تنتمي إلى صنف القصبات التي تتكون من مسجد ومخازن ومساكن مختلفة (قصبة مديونة، وقصبة بولعوان)، وهي أكثر أهمية من قصبة بولعوان من الناحية الهندسية والمعمارية (مسجد واحد، ودار السلطان، وغرف تحت الأرض ومخازن).

والملاحظ أن الفضاء الداخلي للقصبة تشغله حاليا بنايات عشوائية، وتقطنها عائلات من أفراد القوات المسلحة الملكية. وقد ساهم هذا الوضع في تخريب وإتلاف معالم هذه القصبة التاريخية.

[105] أنظر إحالة 103.

[106] للمزيد من التفاصيل، أنظر:

Barrucand, M. "Remarques sur l'architecture militaire alaouite au Maroc", *Revue des Etudes Islamiques*, tome XLVIII, fasc. 2, 1980, p.177-206.

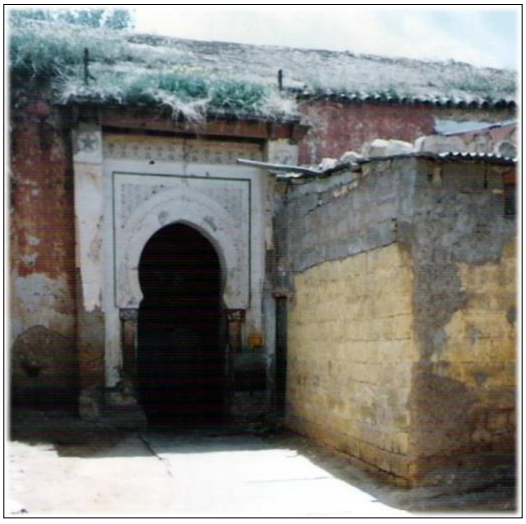

مدخل قصر الأمير أحمد بن المولى إسماعيل
(القصبة الإسماعيلية)

صومعة مسجد الأمير أحمد بن المولى إسماعيل
(القصبة الإسماعيلية)

سور القصبة الإسماعيلية من الداخل

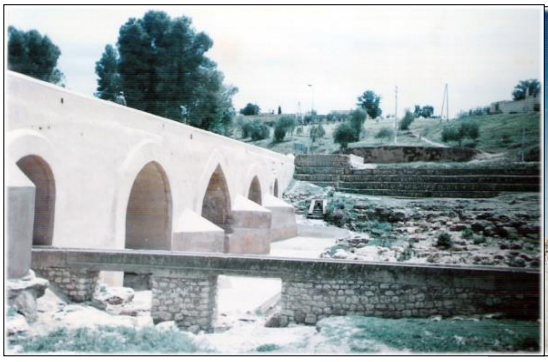

قنطرة المولى إسماعيل (القصبة الإسماعيلية)

وفي سنة 1688م، أمر السلطان المولى إسماعيل ببناء القصبة البلكوشية بالقرب من بلدة الصومعة، حفاظا على الأمن بالمنطقة ودرءا للفتن والانتفاضات، وذلك إلى جانب قصبة تادلا. ففي الوقت الذي كان يقتصر فيه دير بني ملال على تجمع حضري واحد، وهو

الصومعة، أصبح يتوفر على تجمع ثان وهو القصبة البلكوشية. ومن أدلة ذلك ورود ذكرهما في وثائق المعاملات المحلية ومراسلات المعمر الفرنسي[107].

وفي سنة 1179-1180هـ/1765-1766م، أوقع السلطان محمد بن عبدالله بقبائل آيت إيمور وقام بترحيلهم إلى جبل سلفاط قرب فاس[108]، وأسكن مكانهم مؤقتا قبائل سمكت، وكطاية ومجاط، الذين نقلهم بدورهم فيما بعد إلى الغرب تأديبا لهم[109]. كما خرب زاوية أبي الجعد وسجن شيخها محمد العربي الشرقاوي[110].

وقام كذلك محمد بن عبدالله بعزل بعض القواد الثائرين بالمنطقة أمثال الرضي الورديغي، الذي استبدله بالقائد محمد بن أحمد الدكالي[111]. ولمّا لم تهدأ الأمور، تم عزل هذا الأخير وتعويضه بصالح بن الرضي الورديغي[112] الذي كسر شوكة هاته القبائل. كما جدد حملاته عليها فيما بعد[113].

وفي سنة 1222هـ/1807م، قضى المولى سليمان على ثورات بني موسى وآيت اعتاب وارفالة وبني عياط[114]. وفي سنة 1224هـ/1809م، شن حملة تأديبية ضد قبائل ورديغة وآيت اسري[115]. وهو الذي بنى مسجد أبي الجعد، الذي لازال يحمل اسم جامع المولى سليمان[116]. كما بنى الجسر الموجود على نهر أم الربيع[117].

وفي سنة 1265هـ/1848م، نفى السلطان المولى عبدالرحمان بن هشام من جديد قبائل آيت ايمور إلى ضفاف وادي نفيس بالحوز[118]. وبعد ذلك -أي في سنة 1270هـ/1853م- انتقم من قبائل بني موسى الذين قتلوا واليه أحمد بن زيدوح[119].

---

[107] أحمد عمالك، مرجع سابق، ص92.

[108] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص28.

[109] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص50.

[110] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص59-60؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ص460.

[111] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص30.

[112] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص39.

[113] محمد بوسلام، مرجع سابق، ص53.

[114] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص113.

[115] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص114.

[116] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص173.

[117] الناصري، مصدر سابق، الجزء 8، ص173؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ص460.

[118] الناصري، مصدر سابق، الجزء 9، ص10.

وقام السلطان الحسن الأول (1873/1894م) بعدة حركات في المنطقة، تمكن على إثرها من إخضاع قبائل ظيان، وبني مكيلد، وشقيرين، وآيتسخمان، وآيت اسري، وذلك سنة 1305هـ-1888م[120]، وكذا قبائل بني عمير، بني موسى وآيت عتاب[121].

وابتداءا من القرن التاسع عشر، ضاقت القصبة البلكوشية بالسكان والعمران. فتشكلت بضواحيها العديد من التجمعات البشرية داخل قصور محصنة بالأسوار والأبواب. ومن بين هاته القصور: قصر بوجوج بيبان، وقصر ولد بلخير، وقصر بن حمو، وقصر الفقراء، وقصر الأبيض[122]. وقد بدأ ذكر القصبة البلكوشية (القصبة الكبيرة) يضمحل مع مطلع القرن العشرين، واستُبدال اسمها بآخر هو قصبة بني ملال. حيث إنه بعد دخول المعمر الفرنسي إلى المنطقة سنة 1916 وجدها عبارة عن قصبة محصنة من كل الجهات ومنفتحة على الخارج بواسطة العديد من الأبواب[123]. وشهدت سنة 1934 تحطيم هذه الأسوار والأبواب من طرف الفرنسيين، وذلك لتوسيع المدينة. ومن أهم هذه الأبواب: باب امغيلة، وباب أولاد سعيد، وباب تادلا، وباب أولاد حمدان، وباب آيت اليزيد، وباب مراكش[124]. ومعلوم أنه لم يتبق من أسوار القصبة البلكوشية (أو قصبة بني ملال فيما بعد) إلا جزء يوجد حاليا بمنزل البريني. في حين لا يوجد أي أثر لأبواب القصبة، اللهم الأسماء المتداولة والتي تدل عليها.

---

[119] توجد بتراب إقليم الفقيه بن صالح (جهة بني ملال-خنيفرة) جماعة قروية تدعى دار ولد زيدوح؛ ولا نستبعد أن يتواجد بهذه الناحية بقايا مقر إقامة هذا الوالي.

[120] الناصري، مصدر سابق، الجزء 9، ص199. حول حملات السلطان الحسن الأول بتادلا سنة 1883م، أنظر:

- De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.65-67.

[121] الناصري، مصدر سابق، الجزء 9، ص164 وص168.

[122] محمد بوسلام، مرجع سابق، ص63.

[123] محمد بوسلام، مرجع سابق، ص65.

[124] محمد بوسلام، مرجع سابق، ص71.

الجزء المتبقي من أسوار قصبة بني ملال

8. من أواخر القرن 19 إلى الاحتلال الفرنسي

يعتبر كتاب الرحالة الفرنسي شارل دوفوكو (Ch.- de Foucauld) أهم مصدر يتناول تاريخ منطقة تادلا في أواخر القرن 19م[125]. ففي سنة 1883م، زار هذه المنطقة، وحسبما جاء في وصفه، فقد كانت قصبة تادلة مقرا لسكنى ممثلي المخزن، ويحكمها قائد من كيش آيت الربع[126]. في حين يقطن عامة الناس بالضواحي التي تجزأت إلى قسمين: القسم الأول يوجد في شرقي القصبة، تسكنه عائلات من الأغنياء واليهود ومنازله مبنية بالطابية، وتتكون من طابقين. أما القسم الثاني فتسكنه الأسر الفقيرة داخل خيام وأخصاص، ونظرا لهذا التوسع العمراني الكبير، أصبح اسم قصبة تادلة يطلق على المدينة ككل بما فيها القلعة والضواحي[127].

[125] De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.42-76.

[126] De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.58.

كيش آيت الربع: حامية عسكرية عوضت تلك المتلاشية التي كانت موجودة في قصبة تادلا (محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص54).

[127] De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.58.

- أحمد عمالك، مرجع سابق، ص94.

أما فيما يخص قصبة بني ملال فقد وصفها دوفوكو بكونها "مدينة صغيرة" تحيط بها الأشجار والبساتين من كل ناحية، ما عدا الجهة الجنوبية حيث المرتفعات الجبلية. ويضيف دوفوكو واصفا المنازل داخل القصبة بأنها مبنية بالحجر المدكوك ولا تتعدى الطابق الواحد. أما الجوانب العمرانية الأخرى، فيلخصها في وجود صومعة وحيدة وسط البساتين الكثيفة بزاوية سيدي أحمد بن القاسم. ولا توجد بالمدينة إلا "قصبة قديمة ذات أسوار عريضة ومرتفعة، لم يبق منها إلا الأطلال"[128]، وتضم داخلها سوقا. والمدينة، يستطرد الرحالة، نظيفة ومزدهرة، بها أزقة واسعة ومنازل صلبة البناء وحديثته. ويوجد على رأس قصبة بني ملال قائدان عينهما السلطان الحسن الأول[129]. بالإضافة إلى كل ذلك، كانت هناك بعض الزوايا بقصبة بني ملال من أهمها: الزاوية التيجانية، والزاوية القادرية والزاوية الكتانية[130].

ومن خلال وصف دوفوكو الدقيق، نلاحظ أنه لم يشر إلى أسوار قصبة بني ملال التي ظلت قائمة إلى غاية سنة 1934[131]. حيث هدمها المعمر الفرنسي. وهذا يعني أن هذه الأسوار لم يعاينها دوفوكو سنة 1884 لعلها لم تكن موجودة آنذاك، وبذلك يحتمل أن يكون بناؤها قد تم بعد ذلك. بخلاف الأسوار العريضة والعالية التي وردت في وصفه، والتي تنتمي لا محالة إلى القصبة البلكوشية.

عاشت منطقة تادلا فترات تاريخية من المد والجزر، وشهدت صراعات وحروبا سواء بين القبائل من جهة، أو بين القبائل والمخزن من جهة أخرى، إلى أن اقتحمت السلطات الاستعمارية أراضي المنطقة[132].

استولت الجيوش الفرنسية بزعامة الكولونيل مانجان (Charles Mangin) على قصبة تادلة في أبريل سنة 1913م، واتخذها قاعدة للسيطرة على باقي ربوع الإقليم وإخضاع قبائل الجبال ومنها تصدت للانتفاضة التي انطلقت من بني ملال سنة 1915م، ثم زحفت على بني ملال التي تم إخضاعها سنة 1916م[133].

---

[128] De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.63.

[129] De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.64.

[130] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص66.

-De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.66.

[131] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص66 والإحالة 127، ص66.

[132] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص50-54 وص162-164.

[133] أحمد عمالك، مرجع سابق، ص94-95.

وقد تدخلت قوات فرنسا بواسطة حاميات وثكنات عسكرية مرابطة بكل من ناحية البروج، ودار ولد زيدوح، وقصبة تادلة، وإغرم العلام وبني ملال، وكذلك بالمناطق الجبلية[134].

وحاول المستعمر الفرنسي فيما بعد السيطرة على قصبة بني ملال لتكسير شوكة مقاومي الجبال. فأعد العدة وهيأ التجهيزات الضرورية واتصل بذوي النفوذ السياسي والديني لضمان مساندتهم، فاكتسح بني ملال سنة 1916م، بعد أن تمكن من إخضاع كل من قبائل أولاد عياد، ثم أولاد امبارك، ثم أولاد موسى[135].

وقد تصدى الملاليون للمستعمر سواء داخل القصبة أو في مناطق أخرى، وشاركوا إخوانهم في الدفاع عن وادي زم سنة 1912م ؛ كما تحالفوا مع آيت ويرا، وآيت سخمان، وآيت عطا، لعرقلة احتلال قصبة تادلة سنة 1913م[136]. كما تضامن الملاليون مع جيرانهم العرب والأمازيغ بالمنطقة لمنع وصول الفرنسيين إلى بني ملال سنة 1915م[137].

وكان من نتائج التحالفات أن منيت سلطات الغزو بعدة هزائم في مجموعة من الربوع. وكمثال على ذلك انهزامها سنة 1913م بقيادة موحا أوسعيد في معركة القصيبة[138]، هذه المدينة التي لن يتم إخضاعها إلا سنة 1923م، كما هزم المقاوم الكبير موحا اوحمو الزياني القوات الاستعمارية سنة 1914م بمعركة الهري (خنيفرة)[139].

وقد ساهمت قبائل آيت اعتاب في المعارك التي دارت بعد ذلك بالقصيبة، كما شاركت أيضا في المعارك الدائرة بأزيلال سنة 1916م[140]، بالإضافة إلى خوضها لمعركة بوصالح بشرق آيت اعتاب بتاريخ 2 دجنبر من نفس السنة[141].

---

[134] محمد العروصي، "التدخل العسكري بتادلا والمناطق الجبلية (1916-1912)"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، مرجع سابق، ص115.

[135] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص176 وص223.

[136] محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص165.

[137] نفسه، نفس الصفحة.

[138] أنظر عيسى العربي، **مقاومة سكان أزيلال للاحتلال الفرنسي في مرحلة غزو المغرب مابين سنوات 1912م-1933م**، المطبعة الأولى، مطبعة عين أسردون، بني ملال، 2008، ص632-636.

[139] عيسى العربي، مرجع سابق، ص14، ص640 وص649.

[140] محمد بكراوي، "مساهمة منطقة تادلا لمناهضة الاستعمار الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، مرجع سابق، ص123- 24؛ عيسى العربي، مرجع سابق، ص14.

[141] عيسى العربي، مرجع سابق، ص127-130.

كما شن رجال المقاومة هجومات عنيفة ضد المستعمر، منها هجوم 1921م، الذي نظمه وقاده كل من موحا اوسعيد اليراوي والحسين اوتمكا السخماني[142] وكشوم المازيغي. ومن هؤلاء المقاومين الكبار كذلك علي إمهواش[143]، وأحمد الحنصالي[144] وغيرهم كثير. وقد أدت وفاة البعض من هؤلاء المقاومين الكبار وكبر سن العديد منهم إلى تسهيل مأمورية المعمر الفرنسي وإحكام قبضته على المنطقة[145].

وإلى جانب حاملي السلاح هؤلاء، أنجبت منطقة تادلا مجاهدين من نوع آخر، يتعلق الأمر بقادة الكفاح السياسي والإعلامي على الصعيدين الوطني والدولي أمثال محمد العتابي[146].

وتجدر الإشارة إلى أنه قبل دخول المستعمر الفرنسي، بنيت مجموعة من القصور (إغرمان) المحصنة ذات طابع حمائي وموقع استراتيجي. وتجسد هذه الأبراج المحصنة ذلك الصراع والتطاحن الذي كان قائما بين قبائل المنطقة حول الماء والأراضي وغير ذلك. ثم استعملت أثناء فترة الاستعمار كمقرات ومخابئ للمقاومة والعمل المسلح. وكمثال على هذه القصور بمنطقة تادلا: دار الحنصالي (ناحية القصيبة)[147]. كما استخدم المستعمر هذه البنايات لحبس وسجن مقاومي المنطقة، وأبرز مثال على ذلك قصر سرمر بمشيخة فرياطة قيادة تاكزيرت، ناهيك عن العديد من هذه القصور المنتشرة بمختلف ربوع المنطقة ونذكر منها: قصر أوربيع الذي نقشت في بابه سنة 1916[148]، وقصر أولاد امبارك، وقصر الدروة، وقصر عين أسردون الذي أعيد بناؤه في فترة الاستعمار بما يسمى بالكلفة، وقد خُرِّب جزء منه، ثم رُمِّم سنة

---

[142] عيسى العربي، مرجع سابق، ص507-513.

[143] عيسى العربي، مرجع سابق، ص637-641.

[144] عيسى العربي، مرجع سابق، ص496.

[145]- محمد بوسلام، "بني ملال"، **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء 5، 1992، ص1577.

[146] محمد بكراوي، مرجع سابق، ص123-124. أنظر ترجمة "محمد العتابي" بمعلمة المغرب (محمد حجي، العتابي محمد، **معلمة المغرب**، ج18، 2003، ص5975-5976)؛ عيسى العربي، مرجع سابق، ص165-168.

[147] قمنا بمعاينة الموقع في إطار بعثة إقليمية ضمت كلا من مندوبية وزارة الثقافة في شخصي كاتبي المقال ومندوبية وزارة السياحة ببني ملال ومركز التنمية الغابوية بالقصيبة (Centre de Développement Forestier/El Ksiba).

[148] وهي السنة التي احتل فيها الفرنسيون مدينة بني ملال (محمد البشير بوسلام، **تاريخ قبيلة بني ملال، 1854-1916، جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، /1991، مرجع سابق، ص64 وص166).

1977[149]. ولعل القاسم المشترك بين هذه الأبراج أو القصور تمركزها بكثرة في منطقة الدير، وتوفرها على أربعة أبراج، فضلا عن وظيفتها الاحتمائية من العدو[150].

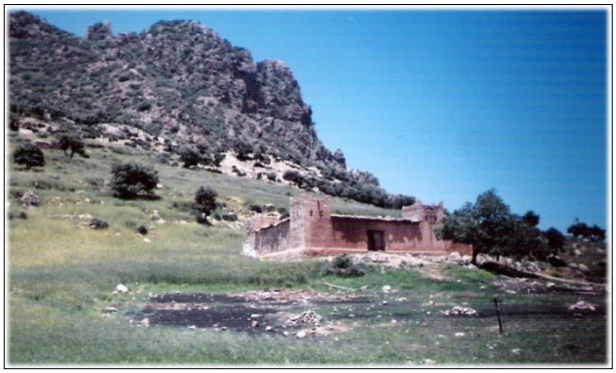

دار الحنصالي (ناحية القصيبة)

برج/قصر عين أسردون قبل تهيئته

البرج بعد التهيئة والصيانة

[149] مصطفى عربوش، **من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م، ص90.

[150] بخصوص هذه التحصينات، أنظر محمد البشير بوسلام، مرجع سابق، ص130-131؛

- De Foucauld, Ch. *op.cit*, p.66.

خاتمـة

من الواضح أن المجال التادلي أدّى أدوارا طلائعية في تاريخ المغرب، خاصة في الفترة الوسيطية، وذلك بفضل موقعه الاستراتيجي الذي يوجد على الطريق الرابط بين العاصمتين التقليديتين للمغرب: فاس ومراكش، وكونه ملتقى وممرا للقوافل التجارية. فضلا عما يزخر به من معطيات وثروات طبيعية: سهل، ودير، ومجاري مائية، وعيون، وتربة خصبة، بالإضافة إلى دور العنصر البشري الذي تفاعل مع الأحداث التاريخية وطبعها بطابعه وطبعه الجبلي والسهلي، ووسم التراث الحضاري الذي تمخض عن ذلك بازدواجية انتمائه وجذوره الأمازيغية والعربية، وتعايشه مع عناصر بشرية وثقافية أخرى كاليهود، وهو ما أضفى على هذا التراث مسحة خاصة ومتميزة من العادات والأعراف.

وتكمن أهمية المنطقة أيضا في العناية والاهتمام الخاص الذي أولته لها مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب. وقد اتضح ذلك بجلاء في عهد السعديين لما عين السلطان أحمد المنصور الذهبي ابنه زيدان واليا على تادلا، وفي عهد العلويين حينما عين السلطان المولى إسماعيل ابنه أحمد الذهبي واليا عليها كذلك. كما تتجلى هذه الأهمية في حجم وقيمة وحِدَّة المعارك والاصطدامات التي وقعت في عين المكان.

وكان للزوايا، إلى جانب ذلك، دور فعال في المجال الاجتماعي والديني والسياسي، سواء من حيث تعددها (الدلاء، والصومعة، والزاوية الشرقاوية، وزاوية سيدي علي بن إبراهيم، وابزو....) ومساندتها للسلطة الحاكمة، أو من حيث المنافسة التي كانت تشكلها ضد هذه الأخيرة حينما تكون لها طموحات سياسية وعسكرية[151].

كل ذلك أكسب المنطقة موروثا تاريخيا وتراثا متميزا ومنفردا، يجب صيانته ومراجعته وملء ثغراته وإعادة تصوره وكتابته كتابة علمية ومكتملة؛ بعضه لازال شاخصا وبعضه الآخر في طريقه إلى الاندثار أو مندثر. ومن المواقع الأثرية التي اندثرت عن آخرها، نذكر مدينة داي التي ورد ذكرها ووصفها في العديد من الكتابات كما سبق. فهل ستفصح التحريات والحفريات الأركيولوجية يوما ما عن لغز هذه المدينة وتكشف عن جوانب من آثارها الدفينة، لا محالة، تحت أنقاض بني ملال الحالية أو في ضواحيها؟

كما فقدت قصبة بني ملال الأسوار التاريخية التي كانت تحصنها من جميع الجوانب. وإذا كانت النصوص التاريخية تنسب هدمها إلى المستعمر الفرنسي سنة 1934، فإن ذلك يبدو

[151] محمد البشير بوسلام، **مرجع سابق**، ص20.

غريبا، فجُلُّ المدن التاريخية المغربية احتفظت بأسوارها رغم تعرضها للاحتلال الأجنبي فهل هناك أسباب أخرى؟

ولازال بمدينة بني ملال جزء صغير صامد من سور القصبة، الكائن بمنزل البربيني، بالإضافة إلى بعض الأبواب المعمارية التاريخية والعديد من السقايات العمومية وبعض المباني الأخرى ذات قيمة تاريخية وهندسية وفنية كالمنازل والفنادق. وتواجه كل هذه المآثر صعوبات تتجلى في احتلالها من طرف السكان وتشويه معالمها وتبليط واجهاتها بالجير أو الإسمنت أو غير ذلك.

ومدينة تاگرارت (قصبة أو قلعة) التي تنتشر أشلاؤها تحت التراب وعلى سطح الأرض، لم يصمد منها إلا جزء صغير من السور وبعض قواعد الأبراج، ومخلفات نظام لجلب المياه من وادي درنة. وتجعل هذه المؤشرات موقع تاگرارت جديرا بتخصيص برنامج من الأبحاث والتحريات كخطوة أولى لبعثات مكتفة من الحفريات والاستبارات. كما أن العديد من المواقع الأخرى بمنطقة تادلا تحتاج إلى تأريخ علمي دقيق (موقعا فشتالة والزيدانية بصفة خاصة). وكعمل أولي لابد من إنجاز عمليات الرفع الهندسي وتتبع التصميم العام والمفصل للموقع، وبعد ذلك إنجاز دراسات واستبارات وأبحاث.

ولا يخفى على أحد ما تتعرض له الآثار والمواقع التاريخية من إهمال وتهميش، بل وتخريب وتشويه أحيانا، وذلك نظرا لعدم صيانتها وعدم إعادة توظيفها وتهيئتها. وتعتبر قصبة تادلة الإسماعلية أبرز مثال على ذلك، رغم أنها مصنفة في عداد الآثار الوطنية.

ولعل من باب التعريف بالأماكن-الذاكرة، نقترح بناء نصب تذكاري بالموقع التاريخي: "أبي عقبة" أو "بوعكبة" كما يسمى حاليا، والموجود على مقربة من وادي العبيد، والذي شهد معارك متعددة ومهمة، كتلك التي دارت رحاها بين الوطاسيين والسعديين سنة 1537/1536م وكان النصر فيها حليف السعديين، وتلك التي جمعت محمد الشيخ ابن زيدان السعدي بمحمد الحاج الدلائي سنة 1538م وانتهت بابتعاد هذا الأخير، ثم المعركة التي واجهت المولى إسماعيل العلوي بأحمد بن محرز سنة 1676م والتي أسفرت عن انتصار المولى إسماعيل. بالإضافة إلى ذلك لابد من الالتفات إلى الذخائر التراثية التي تزخر بها المناطق الجبلية بجهة تادلا-أزيلال من استكشاف المغارات والكهوف الكثيرة والمتعددة وسبر أغوارها وتتبع أشكال التراث الشفوي والتعبيري وتوثيقهما.

بيبليوغرافيـا

1. المصـادر

أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا..**، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي، 1147هـ/1734م/1249هـ/1833م، دار النشر المعرفة، الرباط، 1412هـ/1991م.

أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، حققه وقدم له: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الجزء الأول، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1992.

أحمد التادلي الصومعي، **كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم6، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، 1996.

الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتآليف والترجمة والنشر، الرباط، مطبعة ووراقة البلاد-الرباط، 1400 هـ-1980م.

الشريف الإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تحقيق وترجمة محمد حاج صادق، بلجيكا، 1983.

عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، الجزء الثالث، الرباط، 1931.

علي بن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1979.

ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397 هـ/1977م.

مارمول كاربخال، **إفريقيا**، الجزء الأول، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، بدون تاريخ.

مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

- Foucauld, Ch. *Reconnaissance au Maroc, 1883-84, Société d'Editions Géographiques, Maritimes et Coloniales*, Paris, 1888.

2. المراجع

إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الثاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.

أحمد صالح الطاهري، "فازاز"، **معلمة المغرب**، الجزء 19، ص6389.

دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع (تادلا)، دار الفكر، ص459-460.

المصطفى بن خليفة عربوش، **بني ملال، حاضرة تادلا/أزيلال: التاريخ والتراث**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م.

عيسى العربي، **مقاومة سكان أزيلال للاحتلال الفرنسي في مرحلة غزو المغرب مابين سنوات 1912م-1933م**، مطبعة عين أسردون، بني ملال، 2008.

محمد البشير بوسلام، **تاريخ قبيلة بني ملال، 1854-1916، جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1991.

محمد بلعتيق، **إمارة بني أبي العافية: مساهمة في دراسة تاريخ وآثار المغرب الوسيط الأعلى**، دراسات وأبحاث أثرية مغربية، عدد 11، وزارة الثقافة والاتصال –قطاع الثقافة–، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، 2018.

محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ (2)، الجزء الثاني، مطبعة فضالة، 1398هـ/1978م.

محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ/1988م.

محمد شكري، **تقرير حول موقع فشتالة**، المديرية الجهوية لوزارة الثقافة والاتصال –قطاع الثقافة ببني ملال.

مصطفى عربوش، **أحمد بن أبي القاسم، شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1419هـ-1998.

مصطفى عربوش، **من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م.

مندوبية جهة تادلة/أزيلال (وزارة الثقافة)، **تقرير حول نهاية أشغال ترميم الصومعة المرابطية**، بني ملال، 2003.

Cour, A., L'établissement *des dynasties des chérifs au Maroc*, Paris, 1904.

Choukri, M., *Qasba Tadla : Étude des monuments historiques*, Mémoire de fin d'études de 2ème année du IIème cycle de l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine (INSAP), Rabat, 1992 (deux volumes).

3. المقالات

أحمد عمالك، "ملامح من تاريخ قصبة تادلا"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص87-98.

إدريس أبو إدريس، "تادلا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر إشكالية الالتقاء والتمازج"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص37-85.

مجهول، "اكتشاف مدينة أثرية بجبال الأطلس المتوسط"، **جريدة العلم**، عدد صادر بتاريخ 1996/09/29، ص5.

بوشعيب العكرود، "كتابات جبل رات، معلمة تاريخية تحتاج إلى إنقاذ"، **جريدة ملفات تادلة**، (تصدر ببني ملال)، العدد 27-28، مارس-أبريل، 2000، ص7.

جوهرة أشيبان، "حول اكتشاف أكبر مدينة أثرية في المغرب بجبال فازاز"، **مجلة تاريخ المغرب**، العددان 7 و8، ماي 1998، ص8-9.

محمد البشير بوسلام، "بني ملال"، **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للتآليف والترجمة والنشر، الجزء الخامس، 1992، ص1576-1577.

محمد العروصي، "التدخل العسكري بتادلا"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص113-122.

محمد بكراوي، "مساهمة منطقة تادلا لمناهضة الاستعمار الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص123-128.

محمد حجي، "الزاوية الدلائية"، **مذكرات من التراث المغربي**، الجزء الثالث، الطبع والتجليد: Altamira. S.A. Madrid، الرباط، 1985م، ص238-242.

محمد حجي، "داي أو الصومعة، مركز ثقافي ببلاد تادلا"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص19-24.

محمد حجي، "العتابي محمد"، **معلمة المغرب**، ج18، مطابع سلا، 2003، ص5975-5976.

محمد زنيبر، "تادلا في العصر الوسيط"، **تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص25-35.

محمد زنيبر، "زينب النفزاوية"، **مذكرات من التراث المغربي**، الجزء 2، الطبع والتجليد: Altamira. S.A. Madrid، الرباط، 1984، ص138–143.

مصطفى القصري، "النقود المسكوكة في عهد الأدارسة"، **مذكرات من التراث المغربي**، الجزء 2، الرباط، 1984، ص76–85.

Gautier, E.-F., "Medinat- ou–Dai", *HespérisTamuda*, 6, 1926, p.5-25.

Naji, H., "La tannerie traditionnelle de Béni-Mellal : la mémoire dans la peau", *Le Jardin des Hespérides*, N° 9, 2018, p.40-45.

4. منظومات رقمية ومواقع إلكترونية

http://www.idpc.ma